العنوان:	منهج الجدل والمناظرة عند ابن حزم
المصدر:	مجلة العلوم الإنسانية والتطبيقية
الناشر:	الجامعة الأسمرية الإسلامية زليتن - كليتى الآداب والعلوم
المؤلف الرئيسي:	الدوكالى، نور الدين عاشور أحمد
المجلد/العدد:	ع28
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2016
الشهر:	مارس
الصفحات:	367 - 392
رقم MD:	813830
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
اللغة:	Arabic
قواعد المعلومات:	HumanIndex
مواضيع:	ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد، ت. 456 هـ.، الفلسفة الإسلامية، الجدل، المناظرة
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/813830

© 2024 المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو المنظومة.

للإستشهاد بهذا البحث قم بنسخ البيانات التالية حسب إسلوب الإستشهاد المطلوب:

إسلوب APA

الدوكالى، نور الدين عاشور أحمد. (2016). منهج الجدل والمناظرة عند ابن حزم.مجلة العلوم الإنسانية والتطبيقية، ع28، 367 - 392. مسترجع من http://search.mandumah.com/Record/813830

إسلوب MLA

الدوكالى، نور الدين عاشور أحمد. "منهج الجدل والمناظرة عند ابن حزم."مجلة العلوم الإنسانية والتطبيقيةع28 (2016): 367 - 392. مسترجع من http://search.mandumah.com/Record/813830

© 2024 المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو المنظومة.

منهج الجدل والمناظرة عند ابن حزم

(*)الدكتور : نور الدين عاشور أحمد الدوكالي

مقدمـــة:

إن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آل بيته، وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً نفتتح حديثنا استفتاحاً باسمه، واسترشاداً بنوره، وهديه،

وبعد ،،،

بادي ذي بدء نقول أن المنهج الجدلي من المناهج الإسلامية، وهو من الأساليب القوية للدفاع عن الحق وكشف اللثام عن الباطل، وله دور رائد في الرد على أهل الكتاب، ولقد سلك الإمام ابن حزم هذا المنهج، واستخدمه في الحوار مع أهل الكتاب، وللوصول إلى حقيقة الرسالات الإلهية فيبين لنا مدى قدرة الإنسان الذي يتمسك بعقيدة ما في الذود عنها، وإماطة الشبهات، والافتراءات عنها كما يُعد المنهج الجدلي من الأساليب الحكيمة، والبليغة التي استعملها القرآن الكريم في إقامة الأدلة على وحدانية الله، وعلى صدق الرسل الكرام فيما يبلغون عن خالقهم، ويمتاز أسلوب الحوار والجدل في القرآن الكريم باتساع دائرته، ووضوح قضاياه وشموله لما يحصى من المسائل، والمنهج الجدلي من الأساليب التي استعملها الرسول أثناء جداله مع المخالفين له عامة، وأهل الكتاب خاصة، ولقد تميز الإمام ابن حزم بالمنهج الجدلي ولذلك كان لهذا المنهج الناجح الأثر العظيم في الدفاع عن الإسلام.

1. مشكلة الدراسة: إن واقعنا الحاضر يحتم علينا إنصاف الدين الإسلامي مما يحاك له من قبل اصحاب الديانا ت الأخرى ولا يتأتى لنا ذلك إلا بالتركيز على هذا النوع من الدراسات في هذا الوقت لطبيعة المواجهات والتحديات التي يتعرض لها الإسلام اليوم فيما هوجم به من قبل اليهود والنصارى ولرد افترائهم، وكشف اللثام عما يدسون من آراء، وإن هذا النوع من الدراسة يمكننا من امتلاك أسلحة الجدل، وطرق الاستدلال، وشروط البرهان لدحض هذه الافتراءات وتوضيح حقيقة الديانات من حيث الصحة، والفساد، وما حافظ منها على أصوله وما لحقه التحريف، والتبديل.
2. أهمية الدراسة: محاولة تقديم آراء ابن حزم، وإبراز إسهاماته في مجال الدفاع عن الإسلام، كما أن لمنهجه أهمية كبيرة في التاريخ الإسلامي حيث يُعد المنهج هو المحور

(*) عضو هيئة تدريس بقسم الفلسفة – كلية الآداب – الجامعة الأسمرية الإسلامية .

الأساسي الذي يدور حوله هذا البحث، فضلاً عن أن الإمام ابن حزم يمتاز بعقلية منطقية مرتبة تحسن تقديم المقدمات، وإنتاج النتائج، كما ان التركيز على هذا النوع من البحوث مهم جداً لطبيعة المواجهات والتحديات التي يتعرض لها الإسلام فيما هوجم به من قبل أصحاب الديانات الأخرى ولرد افترئهم، كما تكمن أهمية البحث في فهم طبيعة وأصول هذه الديانات وفي متابعة تطور جهود المنكرين في هذا المجال.

3. واما أهداف الدراسة فهي: ابراز عرض علمي للموضوع إسهاماً منا في إثراء المكتبة العربية بدراسة أكاديمية مستقلة، في فلسفة مقارنة الأديان، والتركيز على مدى ريادة مفكري الإسلام في عرض الآراء والأفكار الفلسفية، التعرف على منهج ابن حزم الجدلي في الرد على أهل الملل والأهواء.

4. أسباب اختيار الموضوع: نظراً لأهمية فكر ابن حزم في تاريخ الفكر الإسلامي، فقد دفعنا ذلك إلى اختيار هذا الموضوع، محاولة التركيز على الجانب المنهجي عند ابن حزم وانتهاج نهجه في الرد على أصحاب الملل وردع افتراءاتهم، تسليط الضوء على هذا النوع من الدراسات لإثراء المكتبات العربية وتعريفهم بهذا النوع من المناهج المستخدمة للرد على ما يحاك ضد الإسلام.

5. المنهج المتبع في الدراسة: إن طبيعة الموضوع تتطلب منا استخدام المنهج التحليلي المقارن المدعم بالدراسات المقارنة بالدرجة الأولى، بالإضافة إلى ذلك ثم الاستعانة بالمنهج التاريخي الذي يؤدي إلى تحري الدقة العلمية في عرض الآراء، حتى نتمكن من الدخول إلى أعماق هذه الدراسة، والخوض في جزئياتها، وتحليل ما تشمله من آراء ومواقف، وذلك بالاعتماد على المصادر الأصلية ما أمكن، بُغية تقديم بحث أكاديمي.

6. تساؤلات الدراسة:- هذه الدراسة تأتي للإجابة عن تساؤلات عديدة منها:- ما الذي جعل ابن حزم يتخذ المنهج الجدلي للدفاع عن الدين؟ ما هي غاية الجدل عند ابن حزم؟ وما قدر الأمانة في الجدل عنده؟ وما هي السمة البارزة على اسلوب ابن حزم؟ وما هي الأسس والقواعد التي قام عليها هذا المنهج، ؟ وما حد الجدل عنده؟ وما هي أسباب الجدل لديه؟.

7. هيكل البحث : يشتمل هذا البحث على مقدمة وثلاث مباحث وخاتمة تتضمن أهم النتائج وأخره قائمة بالمصادر والمراجع.

8. المبحث الأول: مفهوم الجدل وأهميته.

9. المبحث الثاني: قواعد المنهج الجدلي وآدابه عند ابن حزم.

10. المبحث الثالث: المنهج الجدلي عند ابن حزم.

المبحث الأول: مفهوم الجدل وأهميته:

إن الجدل علم يتم به الدفاع عن العقائد الإيمانية، وأسلحته هي العقل، ومعداته، والمعنى اللغوي للجدل (***Dialectic***)(*): الجدل في اللغة هو: اللدّد في الخصومة والقدرة عليها، يقال جادلت الرجل، فجدلته، أي غلبته[1] ويقول صاحب المصباح المنير: جدل الرجل جدلاً فهو جدل من باب تعب إذ اشتدت خصومته، وجادل مجادلة، وجدالاً: إذا خاصم بما شغل عن ظهور الحق، ووضوح الصواب هذا أصله، ثم استعمل على لسان حملة الشرع في مقابلة الأدلة لظهور أرجحها، وهو محمود إن كان للوقوف على الحق وإلا فمذموم[2]، وجاء في معجم ألفاظ القرآن الكريم: جادل، مجادلة وجدالاً: خاصم، وقد يكون الجدال بالباطل ليصرف على الحق، وقد يكون بالحق ليدحض الباطل، والمقام هو الذي يعين المراد وفيه: جدلاً: وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً، أي المنازعة في الرأي والخصومة بالباطل[3]. وبذلك فالمعنى اللغوي للجدل في معاجم اللغة يراد به: الشدة في الخصومة والقدرة عليها ومنه الممدوح، والمذموم، والمقام هو الذي يعين المراد من الجدل، أما المعنى الاصطلاحي للجدل: يقول ابن البقاء في كلياته: الجدل هو عبارة عن رفع المرء خصمه عن فساد قوله بحجة أو شبهة[4]، ويقول التهانوي الجدل: هو اللجاج في الخصومة [5]، ويقول الجرجاني في كتابه التعريفات الجدال: عبارة عن مراء يتعلق بإظهار المذاهب، وتقريرها[6].

والجدل في اصطلاح المنطقيين هو: قياس مؤلف من مقدمات مشهورة أو مسلمة والغرض منه إلزام الخصوم، وإفحام من هو قاصر عن إدراك مقدمات البرهان[7]، والجدل عند الفقهاء والأصوليين هو: إظهار المتنازعين مقتضى نظرتهما على التدافع، والتنافي بالعبارة أو ما يقوم مقامها من الإشارة، والدلالة[8]، وعند صاحب المعجم الفلسفي يأخذ الجدل معاني متعددة: فعند سقراط :

(*) لأن هذا المصطلح بدأ مع الفكر الحديث رغم انتشاره منذ اليونان، حيث استخدمه افلاطون أثناء حديثه عن الديالكتيك" الجدل الصاعد والهابط ".

(1) ابن منظور، لسان العرب، ط2، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، سنة1992م.105/11.

(2) أحمد المقرئ، المصباح المنير، ط1، دار الحديث، القاهرة، مصر، سنة 2000م، ص 60.

(3) محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ط1، دار الحديث، مصر، القاهرة سنة1996م، ص 202 .

(4) أبو البقاء الحسيني، الكليات، دار الثقافة والإرشاد، دمشق، سوريا، سنة1974م، الجزء الثاني، ص165.

(5) التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، تحقيق: أحمد حسن، ط1، منشورات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، سنة1998م، 327/1 .

(6) الجرجاني، التعريفات، ط1، تحقيق/ ابراهيم الأبياري، مكتبة لبنان، لبنان،سنة1996م. ص101.

(7) الجرجاني، التعريفات، ص 102، وراجع / التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، مرجع سابق328/1.

(8) الجويني، الكافية في الجدل، تحقيق: خليل منصور، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، سنة 1999م، ص19.

مناقشة تقوم على حوار، وسؤال وجواب، وعند أرسطو، وفلاسفة المسلمين: هو قياس مؤلف من مقدمات مشهورة، ومسلمات، وهو عند أرسطو طريق ومنهج[1]، ثم يقول صاحب المعجم الفلسفي الجدل: هو طريق الفكر الديني الذي يعرف ذاته، ويعبر عن موقفه بتأليف حكم مركب جامع بين الأحكام المتناقضة، والجدل: هو الفكر الذي يوجه حركته إلى جهات متعارضة تؤثر فيه تأثير متقابلاً يرجع في النهاية إلى تقدمه كجدل الحدس، والقياس والحب، والواجب والعبد والسيد[2]، ويقول ابن حزم عن الجدل:« الجدل أو الجدال: إخبار كل واحد من المختلفين بحجته، أو بما يقدر أنه حجته وقد يكون كلاهما مبطلاً، وقد يكون أحدهما محقاً والآخر مبطلاً إما في لفظه، وإما في مراده، أو في كليهما، ولا سبيل أن يكون معاً محقين في ألفاظهما ومعانيهما»[3]، ومن هنا فالجدل هو: طريقة في المناقشة، والاستدلال تحمل الصحة والفساد فيكون صحيحاً إذا أتبعت فيه شروط التحليل المنطقي للمعاني والألفاظ، بحيث يصبح علم المبادئ الأول، والحقائق اليقينية، ويكون مموهاً، فاسداً إذا اعتمد فيه على الشغب والسفسطة[4] ومما سبق يتضح لنا أن الجدل يكون نتيجة خلاف بين طرفين، أو عدة أطراف حول قضية ما ويحاول كل طرف إثبات صحة حجته، وفي الوقت نفسه دفع حجة الآخر، وبذلك فالجدل يقوم على عمليتين: **إحداهما:** إثبات فساد أدلة الخصم، **والثانية:** جلب المجادل أدلته وقيامه بعملية البرهنة عليها، إن المنهج الجدلي هو الذي يحدد منهج التجادل، والتحاور في الجماعات العلمية أو في المناقشات العلمية على اختلافها[5].

أهمية المنهج الجدلي :

يُعد المنهج الجدلي لوناً من ألوان الحرية الدينية، ووسيلة قوية لحل المشكلات، وإن الحرية هذه ملتزمة بآداب الجدل مصداقاً لقوله ﷻ:{لَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ}[6]، وبالتالي فإن المنهج الجدلي يجعل حرية الرأي في حدود الإقناع، بعيداً عن التعصب والأغراض الشخصية، وهوى النفس، والتأثر بالمذاهب الهدامة التي تسعى للقيام بتهديم الشرائع متخذة من الحرية المزيفة ستاراً لها، كما لعب المنهج الجدلي دوراً كبيراً في الدعوة إلى الإسلام

(1) جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ط1، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، لبنان، سنة1994م.391/1.

(2) المرجع السابق، الجزء الأول، ص394 .

(3) ابن حزم، الأحكام في أصول الأحكام، ط1، تحقيق/ محمد حامد، دار الحديث، القاهرة، مصر، سنة2005م، الجزء الأول، ص60.

(4) مجمع اللغة العربية المعجم الفلسفي، ط1، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية القاهرة، مصر، سنة1979م، ص59، 60.

(5) عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي، ط1، دار النهضة المصرية، القاهرة، سنة1963م.ص19.

(6) سورة العنكبوت، الآية46.

حيث إن المبدأ الإسلامي في الدعوة هو قوله ﷻ:{ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ }[1]، فالإسلام دين عالمي لم يختص بأمة بعينها وإنما دعوة للناس كافة فقال ﷻ:{ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ }[2]، وتتضح لنا أهمية المنهج الجدلي في توضيح أفضلية العقائد الإسلامية واتفاقها مع العقل السليم، والرد على اعتراضات علماء أهل الكتاب ضد الإسلام وكذلك نقد عقائد اليهود والنصارى، وقد دفعهم ذلك للجدل مع أهل هاتين الملتين، مما يكسب دراسة هذا المنهج أهمية كبرى خاصة في الأندلس التي كانت أرضاً خصبة لالتقاء أتباع الديانات الثلاث (**الإسلام– النصرانية – اليهودية**)*.

إن أهمية المنهج تتضح كذلك في انه يهدي إلى الحق، والصواب ومن هنا دعانا إليه القرآن الكريم، ولمسناه في السنة النبوية الصحيحة وبذلك نتمكن من أن نتبيّن الفرق بين ما ورد من النصوص عن الجدال في معرض الذم كقوله ﷻ :{ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ }[3]. وقوله ﷻ :{ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ}[4]، كما إن المنهج الجدلي منهج أصيل وأصالته مستمدة من القرآن الكريم والسنة الشريفة فقال ﷻ في كتابه الحكيم:{ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ }[5]، وورد في السنة النبوية مناظرة الرسول ﷺ لليهود وحواره مع النصارى وجداله معهم بالتي هي أحسن ومن هنا سلك العلماء، هذا المنهج مهتدين فيه بنور القرآن الكريم والسنة النبوية.

وعليه فإن للمنهج الجدلي أهمية قصوى، وهي أن هذا المنهج «يعكس روح التسامح الديني الذي يكفله الإسلام لغير المسلمين عامة، ولأهل الكتاب خاصة إذ يعطيهم حق الدفاع عن عقائدهم والاحتجاج لها، وأكثر من ذلك، يضمن لعقائدهم حرية التعبير عن موقفهم من الإسلام تلك الحرية التي لا تجد لها مثيلاً في أي نظام عقائدي قديماً أو حديثاً»[6]، كما يُعد المنهج الجدلي وسيلة فعالة للكشف عن مهاجمة اليهود، والنصارى للإسلام وحياكتهم للشبهات، والافتراءات ضده، لتهديمه

(1) سورة النحل، الآية125.

(2) سورة الأنبياء، الآية107.

❖- إن المنهج الجدلي يوضح لنا قبول الحضارة الإسلامية للتعددية في داخلها أياً كانت سمتها.

(3) سورة الحج، الآية 3.

(4) سورة غافر، الآية 5.

(5) سورة النحل، الآية 125.

(6) خالد عبد الحليم السيوطي، الجدل الديني بين المسلمين وأهل الكتاب، ط1، دار قباء للطباعة، القاهرة، مصر، سنة2001م، ص63.

وللغض منه، والنكاية بأهله، وهذا ما نراه واضحاً منهم حتى في الوقت الحاضر فإنهم يكيدون للإسلام، وللمسلمين، ويحاربونة بكل ما لديهم من وسائل ومن هنا يتضح لنا الدور العظيم الذي قام به العلماء المسلمين باستخدامهم للمنهج الجدلي لدحض هذه الشبهات، وتفنيد مزاعمهم، والوقوف لهم بالمرصاد، ومن هنا فإن أهمية المنهج الجدلي تتمثل في الكشف عن الضلال، والافتراءات الموجودة في المعتقدات، ومن هنا كان المنهج الجدلي وسيلة من وسائل إحقاق الحق والرد على الباطل يقول ﷻ:{ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ}(1)، وبذلك فالمنهج الجدلي يقوم بتفنيد عقيدة الشرك التي يتمسكون بها وتقرير عقيدة التوحيد، وتقرير الأصول الإيمانية الصحيحة من إثبات البعث، وصدق القرآن والرسول، كما إن المنهج الجدلي له أهمية عظيمة في الدعوة إلى الإسلام، ويُعد لوناً من ألوان النصيحة في الدين مصداقاً لقوله ﷻ:{ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ }(2).

وتأسيساً على ذلك يُعد المنهج الجدلي من أعظم الأعمال عند الله، وأرفعها، وأجلها شأناً ومن أفضل ما يتقرب به المسلم إلى ربه، ومما فرضه الله على من أُتوا العلم، وهنا يقول الإمام الشوكاني في تفسير قوله: ﷻ{ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلادِ}(3)، « أي ما يخاصم في دفع آيات الله، وتكذيبها إلا الذين كفروا، والمراد الجدال بالباطل، والقصد إلى دحض الحق كما في قوله ﷻ: { وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ}(4)، فأما الجدال لاستيضاح الحق ورفع اللبس والبحث عن الراجح، والمرجوح وعن المحكم، والمتشابه، ودفع ما يتعلق به المبطلون من متشابهات القرآن وردهم بالجدال إلى المحكم فهو من أعظم ما

(1) سورة الأنبياء، الآية 18.

(2) سورة النحل، الآية 125.

(3) سورة غافر، الآية 4.

(4) سورة غافر، الآية 5.

يتقرب به المتقربون، وبذلك أخذ الله الميثاق على الذين أتوا الكتاب»[1]، ومن هنا فالمنهج الجدلي هو الطريق الصحيح لتسوية الخلاف بالاحتكام إلى العقل، بطريق واضح، وهو الحوار العقلي المجرد البعيد عن الهوى وإتباع الأغراض الشخصية، وبه يكون الإقناع القطعي والإقناع هو أساس الإيمان في أي دين.

المبحث الثاني: قواعد المنهج الجدلي وآدابه:

لقد حرص القرآن الكريم على تعليم الأمة الإسلامية آداب الحوار والجدل، وقواعده، وقيده بأن يكون بالتي هي أحسن اتباعاً لقوله ﷻ:{ وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ }[2]، واتباعاً للأخيار الذين انتهجوا نهجه، وامتثالاً لقوله ﷻ:{ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ }[3]، فالجدال الذي يسمح به الإسلام في الدعوة هو جدالٌ بالتي هي أحسن، ويراعى فيه مبادئ الإسلام وقواعد الجدل، فما هي قواعد المنهج الجدلي وما هي آدابه؟.

إن الإسلام وضع عدة قواعد ليسير عليها المنهج الجدلي في الطريق السليم ولأن الحوار والجدال في مسألة ما من مسائل العقيدة، لابد أن تراعى فيه هذه القواعد، ومراعاة آداب الجدل والحوار ، إذ أن احتمال وصول الأمر بين المتناظرين إلى حد المضاربة ما لم يوجد في أحدهما صفة «التي هي أحسن» وهذه الصفة تجمع صفات اللين والحسن في المعاملة، والكلام اللطيف اللبق، وقد يولد العناد، والتشبث بالرأي للمعاندة، إذا لم يراعى فيه الرفق واللين ولقد وضع الإسلام عدة قواعد، وآداب ليكون الحوار، والجدال «بالتي هي أحسن» وهذه القواعد هي:

القاعدة الأولى: «ضرورة تخلي كل من الفريقين المتصديين للمحاورة الجدلية حول موضوع معين عن التعصب لوجهة نظره السابقة، وإعلانهما الاستعداد التام للبحث عن الحقيقة والأخذ بها عند ظهورها سواء كانت هي وجهة نظره السابقة، أو وجهة من تحاوره في المناظرة أو وجهة نظر أخرى »[4]، كما يشير القرآن الكريم إلى هذه القاعدة في قوله ﷻ معلماً للنبي ﷺ أثناء حواره مع المشركين أن يقول لهم:{ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدىً أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ }[5].

(1) الشوكاني، تفسير الفتح القدير، ط1، تحقيق/ سعيد اللحام، دار الفكر، بيروت لبنان، سنة1999م، الجزء الأول، ص685.

(2) سورة العنكبوت، الآية 46.

(3) سورة الأحزاب، الآية 21.

(4) عبد الرحمن حسن حنبكة، ضوابط المعرفة، ط2، دار القلم، بيروت لبنان، (د.ت)، ص372.

(5) سورة سبأ، الآية 24.

القاعدة الثانية: «تقيد كل من الفريقين المتحاورين بالقول المهذب البعيد عن كل طعن أو تجريح أو سخرية، أو احتقار لوجهة النظر التي يدعيها أو يدافع عنها من يحاوره»[1]، وقد نص الله ﷻ في كتابه الكريم على هذه القاعدة في أمره بالجدال باللين، والحسن في الجدال «بالتي هي أحسن» فعلى المسلم أن يتحلى في حواره عن السب، والشتم، والطعن، والهمز واللمز، والسخرية، وعلمنا القرآن كل ذلك في قوله ﷻ:{ وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ }[2]، وهذه هي قاعدة الجدال الحسن.

القاعدة الثالثة: «التزام الطرق المنطقية السليمة لدى المناظرة والحوار ومن الطرق المنطقية السليمة: تقديم الأدلة المرجحة للأمور، والمدعاة، وإثبات صحة النقل للأمور المنقولة المروية، ومن ذلك أخذوا القاعدة المشهورة: «إن كنت ناقلاً فالصحة أو مدعياً فالدليل؟»[3]. والمقصود هنا هو مراعاة قواعد المنهج الجدلي، وذلك بإقامة الدليل على دعواه، وإن كان ناقلاً عن غيره يجب عليه أن يلتزم الدقة، ولا يحرف الكلم عن مواضعه.

القاعدة الرابعة: «أن لا يكون المناظر ملتزماً في أمر من الأمور بضد الدعوى التي يحاول أن يثبتها، فإذا كان ملتزماً بشيء من ذلك كان حاكماً على نفسه بأن دعواه مرفوضة من وجهة نظره»[4]، ويعني ذلك ألا يعيّب فيما عند الطرف الآخر ما يقبله هو على نفسه فمن ذلك ما ذكره القرآن الكريم في حق اليهود الذين ينكرون رسالة محمد ﷺ لأنه بشر، ويؤمنون برسالة كثير من الرسل السابقين، وهم ليسوا ملائكة، حيث يقول ﷻ في ذلك:{ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدىً لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلا آبَاؤُكُمْ }[5]، وبذلك رفضت الدعوى لالتزامهم بنقيضها.

القاعدة الخامسة: «ألا يكون في الدعوى، أو الدليل الذي يقدمه المناظر تعارض أي لا يكون كلامه ينقض بعضه بعضاً، فإذا كان كذلك كان كلامه ساقطاً»[6]، ومن ذلك ما يذكره القرآن الكريم عن فرعون أثناء وصفه لموسى عليه السلام بقوله: {سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ }[7]، فمن غير المعقول

(1) عبد الرحمن حسن حنبكة، ضوابط المعرفة، مرجع سابق، ص374.

(2) سورة الأنعام، الآية 108.

(3) ضوابط المعرفة، مرجع سابق، ص376.

(4) المرجع سابق، ص376.

(5) سورة البقرة، الآية111.

(6) عبد الرحمن حسن حنبكة، ضوابط المعرفة، مرجع سابق، ص378.

(7) سورة البقرة، الآية111.

منطقياً أن يكون متردداً بين كونه ساحراً، أو كونه مجنوناً، لأن من شان الساحر الفطنة، والذكاء والدهاء وهو أمرٌ يتنافى مع الجنون فهو جمع بين أمرين متضادين يسقط عند المناظرة، ولا يستحق الجواب، وهو يبين أن فرعون يتهرب من منطق الحق ويطلق هذه العبارة حتى لا يفتضح أمره.

القاعدة السادسة: « ألا يكون الدليل الذي يقدمه المناظر ترديداً لأصل الدعوى، فإذا كان كذلك لم يكن دليلاً، وإنما هو إعادة للدعوى بصيغة ثانية، وسقوط هذا في المناظرة، أمر بديهي وقد يخفى على الخصم إذا استخدم المناظر براعته في تغيير الألفاظ وزخرفتها، ولكنه حيلة باطلة لا يلجأ إليها طلاب الحق»[1].

القاعدة السابعة: «عدم الطعن بأدلة المناظر إلا ضمن الأصول المنطقية، أو القواعد المسلم بها لدى الفريقين المتناظرين»[2]، والمقصود من هذه القاعدة هو المنع بمعنى طلب الدليل على مقدمة معينة، والمعارضة: أي إقامة الدليل على خلاف ما أقام الخصم الدليل عليه[3]، والنقض: وهو إبطال الدليل بعد تمامه، ولابد فيه من التمسك بشاهد[4].

القاعدة الثامنة: «إعلان التعليم بالقضايا، والأمور التي هي من المسلمات الأولى أو من الأمور المتفق عليها، بين الفريقين المتناظرين على التسليم بها، أما الإصرار على إنكار المسلمات فهو مكابرة قبيحة، منحرفة عن أصول المناظرة، والمحاورة الجدلية»[5].

القاعدة التاسعة: «قبول النتائج التي توصل إليها الأدلة القاطعة، إذا كان الموضوع مما يكفي فيه الدليل المرجح، وإلا كانت المناظرة من العبث الذي لا يليق بالعقلاء أن يمارسوه»[6]، والمقصود من هذه القاعدة هو ان يقبل الطرفان بعد انتهاء المحاورة، وظهور الحق التسليم به وقبول الدعوى التي تثبت بالدليل، ولقد عاب القرآن الكريم على من أنكر الحق بعد وضوحه في قوله ﷻ :{ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً }[7].

تلك هي أهم القواعد التي يمكن استنباطها من القرآن الكريم للجدل يشملها التجرد والنزاهة والرغبة في الوصول إلى الحق، فلابد أن تكون المحاورة منطقية يتجرد فيها المتناظران عن

(1) عبد الرحمن حسن حنبكة، ضوابط المعرفة، ص379.

(2) المرجع السابق، ص379.

(3) الجرجاني، التعريفات، مرجع سابق، ص281. وراجع/جميل صليبا، المعجم الفلسفي، مرجع سابق، الجزء الثاني، ص390.

(4) المرجع سابق، ص315، والجويني، الكافية في الجدل، مرجع سابق، ص106.

(5) عبد الرحمن حسن حنبكة، ضوابط المعرفة، ص379.

(6) المرجع سابق، ص379.

(7) سورة النمل، الآية 14.

الرغبات والهوى، وبالإضافة إلى تلك القواعد الرصينة للمنهج الجدلي وضع العلماء المسلمين نقاطاً يجب على المتناظرين الاعتناء بها، وهي تُعد من أهم آداب المتناظرين ومن هذه الآداب ما يلي:

1- أن يقصد كل منهما التقرب إلى الله ﷻ وطلب مرضاته في امتثال أمره في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والدعاء، واستعمال قدرتهما في الكشف عن الحقيقة[1]، وأن يكون الحوار بينهما قائماً على الصدق، وتحرى الحقيقة، بعيداً عن الكذب[2]، وأن يتجنبا غرابة الألفاظ وإجمالها.

2- ألا يقصد بنظره المباهاة، وطلب الجاه، والرياء ولا الظفر بالخصم والسرور بالغلبة، وألا يرفع صوته جهراً، زائداً على مقدار الحاجة، فإنه يورث الحِدة والضجر، والضجر، يورث البلادة، وأن لا يتعود على الإسهاب والجدال بالباطل، فإن الكلام إذا طال واشتمل على الغث رفضته الآذان وملّته القلوب[3].

3- الالتزام بالموضوعية، ونعني بها هنا عدم الخروج عن الموضوع الذي هو محل النزاع، وإنما الالتزام بالموضوعية عند خلافهم مع غيرهم في مسألة من المسائل الدينية والدنيوية[4]، والالتزام، والتواضع، ويقصد الانقياد للحق فيكون ممن{ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ }[5] فإنهم الذين وصفهم الله ﷻ بالهدى[6]، وأن تكون المناظرة في الخلوة أحب إليه، وأهم من المحافل، ولأن الخلوة أجمع للفهم، وأحرى بصفاء الذهن، والفكر وادارك الحق، وفي حضور الجمع ما يحرك دواعي الرياء، ويوجب الحرص على نظرة كل واحد نفسه محقاً كان أو مبطلاً[7].

4- الابتعاد عن استصغار من تناظره، والاستهزاء به لأن خصمك إن كان ممن المفترض عليك في الدين مناظرته، فهو نظيرك، ولا يجمل بك إلا مناظرة النظير للنظير[8]، وإفساح المجال أمام المتنافس، أو المعارض لغيره، لكي يعبر عن وجهة نظره، دون مصادرة لقوله أو إساءة إلى

(1) عبد الرحمن حسن حنبكة، ضوابط المعرفة، مرجع سابق، ص379.

(2) محمد طنطاوي، آداب الحوار في الإسلام، ط1، دار نهضة مصر، القاهرة، مصر، سنة1999م، ص16.

(3) الكافية للجدل، الجويني، مرجع سبق ذكره، ص319.

(4) محمد طنطاوي، آداب الحوار في الإسلام، مرجع سابق، ص23.

(5) سورة الزمر، الآية 18.

(6) الجويني، الكافية في الجدل، مرجع سابق، ص318.

(7) الغزالي، إحياء علوم الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، سنة2001م، 47/1.

(8) الجويني، الكافية في الجدل، مرجع سابق، ص319.

شخصه، وإعطاء الحرية للجانب الآخر، لكي يرد على المخالفة له بأسلوب مهذب، وبمنطق سليم، وبأدب جم، واحترام متبادل[1].

5- أن ينظر من يتوقع الاستفادة ممن هو مشتغل بالعلم، فالغالب أنهم يحترزون من مناظرة الفحول، والأكابر خوفاً من ظهور الحق على ألسنتهم فيرغبون فيمن دونهم، طمعاً في ترويج الباطل عليهم[2]، واحترام رأي العقلاء الذين ينطقون بالكلمة الطيبة، وبالحجة المقنعة ويسلكون السلوك الحميد، في أعمالهم، ويَعفُّون عن كل ما يتنافى مع مكارم الأخلاق، مما يشهد باستنارة بصيرتهم، ونقاء نفوسهم، وطهارة قلوبهم، وعُلو همتهم وصفاء معدنهم.

6- الابتعاد عن التعميم في الأحكام، والاحتراس في الأقوال، وتحديد المسائل، والقضايا تحديداً دقيقاً توضع فيه الألفاظ في مواضعها السليمة، وتوزن فيه الأفعال بميزان القسط الذي لا يظلم أهل التقوى، ولا يجامل الذين أطاعوا أهواءهم، وعموا عن الطريق القويم، وأن يقوم الجدل والحوار على الحقائق الثابتة، لا على الإشاعات الكاذبة.

7- تحديد المفاهيم، وضبط الأحكام، لأن من المتفق عليه، بين العقلاء أن فهم الأمور فهماً سليماً، يؤدي إلى الحكم الصحيح، عليها إذ معظم الأحكام الخاطئة مرجعها إلى الفهم السقيم، أو إلى الخلط بين الألفاظ والمعاني خلطاً يلتبس فيه الحق بالباطل، المصارحة والمكاشفة بإخلاص وموضوعية، وإبراز الحقائق مع أدلتها المقنعة، ومع الفهم السليم والعميق للقضايا والأحكام الشرعية[3]، كما تُعد هذه الآداب، والأحكام من الشروط اللازمة للمتناظرين، ولذلك قيل في الجدل: «أنه معرفة بالقواعد من الحدود، والآداب في الاستدلال التي يتوصل بها إلى حفظ رأي أو هدمه»[4].

المبحث الثالث: المنهج الجدلي عند ابن حزم :

يُعد ابن حزم الأندلسي فارس الجدال مع أهل الكتاب، فهو رجل جدل موهوب بفطرته وذو حافظة قوية، وإطلاع واسع ، وبديهة حاضرة، وكان على وعي، وبصيرة نافذة بمواطن الضعف خبيراً بأساليب الجدل، والإقناع والمناظرة «فكان نقادة قوي الحجة، ينفذ إلى نقط الضعف ويعرف كيف يفحم الخصوم»[5]، وإن الذي يطالع كتاب «الفَصْل في الملل والأهواء والنحل» يجد أن هذا

(1) محمد طنطاوي، آداب الحوار في الإسلام، مرجع سابق، ص31.

(2) الغزالي، إحياء علوم الدين، مرجع سابق، الجزء الأول، 48.

(3) محمد طنطاوي، آداب الحوار في الإسلام، مرجع سابق، ص37، 59.

(4) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ط1، تحقيق/ حامد طاهر، دار الفجر للتراث، القاهرة، مصر، سنة2004م، ص551.

(5) ابراهيم مذكور، في الفلسفة الإسلامية، ط1، مكتبة الفلسفة، القاهرة، مصر، سنة1983م. جزء 2، ص275.

الكتاب كان تمرة جدل طويل، وحوار مستمر مع الفِرق، والديانات، ومن ثم يصنف هذا الكتاب في علم الجدل الديني[1]، كما إن الطابع الذي يغلب على كتاب الفَصْل هو الطابع الجدلي.

لقد كان ابن حزم خبيراً بمناهج الجدل المتعددة دارساً لأصوله عارفاً بطرقه وأساليبه ونعتقد أن هذه القدرة الفائقة في هذا الفن كانت محل اعتراف من العلماء على اختلاف مشاربهم وكان فقهاء المالكية الذين عاصروه، إذا تغلب عليهم اعتصموا بادعاء أنه رجل جدلي، وأن فوزه ليس للحق، وإنما فوزه بتمويه، أو لقوة جدله ثم حملوا على الجدل متتبعين في ذلك قول إمام دار الهجرة مالك: «كلما جاء رجل أجدل من رجل نقص مما نزل به جبريل على محمد ﷺ[2]» ومن هنا يُعد ابن حزم من كبار رجال الجدل المشهورين بمناقشاتهم الجدلية[3].

إن ما يشهد لابن حزم بأنه رجل جدل من الدرجة الأولى، هو أن معاصروه كانوا يعرفون ذلك فيه، ففي رسالته «طوق الحمامة» يذكر مناقشته لبعض علماء «القيروان» فيذكر قولهم له: «أنت رجل جدلي» فلقد قال له أبو عبد الله بن كليب: «أنت رجل جدلي ولا جدال في الحب، يُلتفت إليه»[4]، ويُعد كتاب الفَصْل من أعظم ما أُلف في الجدل الديني وهذا بدوره يوجب علينا أن نعرف حد الجدل عند ابن حزم عنده الذي هو: «إخبار كل واحد من المختلفين بحجته أو بما يقدّر أنه حجته، وقد يكون كلاهما محقاً والآخر مبطلاً إما في لفظه، وإما في مُراده، أو في كليهما ولا سبيل أن يكون معاً محقين في ألفاظهما، أو معانيهما»[5]، ومن خلال هذا التعريف نجد أن ابن حزم يستبعد المنازعة والخصومة والمعاندة والمكابرة في الجدل، وإنما يعنى الجدل عنده تبادل الآراء، وإيراد الحجج، والبراهين لإظهار الحق والكشف عن الحقيقة، كما شهد القرن الخامس الهجري مظهراً من مظاهر الجدل الديني في الأندلس، وهذا ما جعلنا نتسأل ما الذي جعل ابن حزم يتخذ المنهج الجدلي وسيلة لدفاع عن الدين؟ حيث يمكننا أن نرجح أسباب جدل ابن حزم إلى الدوافع التالية :

1- مواهبهُ الشخصية التي تُعد هي الدعامة الأولى لطلب العلم، وهي المفتاح الذي يفتح باب المعرفة، والصفات الفطرية التي وجدت فيه وجعلت منه عالم جدل متميز، يجعل الجدل سلاحاً لنصرة الحق، وتمحيق الباطل ومن تلك المواهب، حافظة قوية، مستوعبة جعلته يستولي على أبواب العلم، ويوائم بين الأفكار إن كانت متناسقة، وبين التناظر فيها إن

(1) خالد عبد الحليم السيوطي، الجدل الديني بين المسلمين، وأهل الكتاب بالأندلس، ص275.

(2) محمد أبو زهرة ، ابن حزم، ط2، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، سنة2004م، ص 162 .

(3) صلاح رسلان، الأخلاق والسياسة عند ابن حزم، ط1، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، سنة1978، ص119.

(4) ابن حزم، رسالة طوق الحمامة، تحقق/إحسان عباس، ط1، ج1، المؤسسة العربية للنشر، بيروت لبنان، سنة1987م. ص 158 .

(5) ابن حزم، الأحكام في أصول الأحكام. مصدر سبق ذكره، الجزء الأول، ص60.

كانت غير متأخية، ولقد أتى الله ابن حزم حافظة واعية «تجئ فيها إرسال المعاني في وقت النزال الذي كان يختار خصومه مع من يؤيدهم من الأمراء والحكام ميدانه فما يبلغون شأنه، ولا يصلون إلى غايته»[1]، ومن خلال ما سبق ندرك أن ابن حزم ذو ثقافة وحافظة قوية ما يجعله من المفكرين المخضرمين، حيث اجتمعت فيه أدوات الاجتهاد كاملة.

2- اهتمامه بالمطالعة، والدراسة وعلوم الأوائل، وكتبهم في الفلسفة والمنطق، فأعطى للمنطق اهتماماً خاصاً، وكان غرضه من علم المنطق «الوقوف على البرهان الذي لا يصح شيء إلا به، وتميزه مما يظن من جهل أنه برهان، وليس برهاناً ومنفعة هذا العلم عظيمة في تمييز الحقائق مما سواها»[2]، إن كل ذلك الاهتمام بعلوم الأوائل والمنطق بالذات له دور عظيم في الجدل عند ابن حزم، وكيفية الجدال لأجل الحق الذي يؤمن به.

3- كثرة مجادلاته، ومناظراته التي كان الغرض منها عنده هو كونها تمثل وسيلة مهمة، من الوسائل العلمية، والمعروفة بمختلف الأفكار في ذلك العصر، خاصة وانه يصرح بحدوث الكثير منها[3]، والذي يطالع كتاب «الفَصْل» يجد فيه الكثير من صور المناظرة والجدل.

4- والرد على اليهود والنصارى، ورد شبهاتهم وافتراءاتهم ضد الإسلام فمن رسائله الجدلية «رسالة الرد على ابن النغريلة» الذي يتقول على القرآن والرسول محمد ﷺ بما لا يليق فيحدثنا ابن حزم في مقدمة هذه الرسالة قائلاً: «وبعد فإن بعض من تقلى قلبه للعداوة للإسلام وأهله، وزويت كبده ببغضه الرسول ﷺ من دهرية الزنادقة بأذل الملل، النحل من اليهود التي استمرت لعنة الله على المرتسمين بها واستقر غضبه ﷻ على المنتمين إليها أطلق الأشر لسانه، وأطغى توافر الذهب، عنده همته الحقيرة فألف كتاباً قصد فيه بزعمه إلى إبانة تناقض كلام الله ﷻ في القرآن اغتراراً بالله ﷻ أولاً، ثم بملك ضعفه ثانياً واستخفافاً بأهل الدين بدءاً ثم أهل الرئاسة ثانياً»[4].

5- ومن الأسباب والدوافع التي جعلت ابن حزم شديداً في جدله ومناقشاته ، ومناظراته ما واجهه من ألوان الحقد، والتآمر، والاضطراب بينه، وبين الفقهاء الذين ألبوا الأمراء ضده وإنكاراً لمذهبه، علاوة عن التشرد والنفي الذي لقيه منه، تلك هي أهم الأسباب والدوافع للجدل عند

(1) محمد أبو زهرة، ابن حزم، مرجع سابق، ص 56 .

(2) ابن حزم، رسالة التوقف عن شارع النجاة، ط2، تح/إحسان عباس، المؤسسة العربية للطبع، بيروت لبنان، سنة1987م. ص131 .

(3) ابن حزم، عبد المجيد خلف منشد، ط1، دار ابن حزم، بيروت لبنان، سنة2002م. ص177 .

(4) ابن حزم، رسالة الرد على ابن التغريلة اليهودي، تح/إحسان عباس، ط2، المؤسسة العربية للطبع، بيروت لبنان، سنة1987م. ص42 .

ابن حزم، وأهمها هو البحث عن الحقيقة، ورد افتراءات اليهود والنصارى الذين يجادلون بالباطل.

ومن ثم وجب علينا أن نعرف أقسام الجدل عند ابن حزم، يقسم الإمام ابن حزم الجدل إلى قسمين:

القسم الأول: الجدل المحمود: وهو ما كان الغرض منه نصرة الحق، وإظهار الحقيقة، وفي العادة يكون أحد الطرفين المتناظرين على يقين من أمره ببرهان، أما الأخر فمتوهم أنه على حق أو يكون طالب حقيقة فقط، متى اتخذ الجدال هذه الصفة فهو مأمور به في الدين، ولأنه «من حكم الجدال ألا يكون إلا بين اثنين طالبي حقيقة، ومريدي بيان، إما أن يكون أحدهما على يقين من أمره، ببرهان قاطع، لا بإيهام نفسه، ولا بأمرٍ أقنعها به، ويكون الأخر متوهماً أنه على حق متيمناً لنفسه ما لم يحصل له»[1]، ولقد أوجب ابن حزم هذا النوع من الجدل لأنه من قبيل إقامة حجة الله ﷻ ومن قبيل تبليغ رسالات الرسل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[2]، ويستدل ابن حزم على وجوب الجدال المحمود بآيات من القرآن منها قوله ﷻ:{ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ }[3]، فكان ﷻ بذلك قد أوجب الجدال المحمود وأمر به، ولقد أمر ﷻ بالجدال على لسان رسوله ﷺ عندما قال: «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم، وألسنتكم»[4]، ويُعد هذا الحديث في غاية الصحة وفيه الأمر بالمناظرة وإيجابها كإيجاب الجهاد والنفقة في سبيل الله[5]، ويقول ابن حزم: «والجدال الذي ندعو إليه هو طلب الحق ونصره وإزهاق الباطل وتبينه فمن ذم طلب الحق وأنكر هدم الباطل فقد ألحد»[6].

والقسم الثاني: جدل بغير علم: وهو ما كان الغرض منه المجاهرة بالباطل، وإفساد الحقائق، والمتناظرين في هذا القسم يكونا مغالطين، أو يكون أحدهما جاهل، والآخر مغالط ويرفض ابن حزم هذا النوع من الجدل، ويصفه بأنه مذموم وهو جدال لنصرة الباطل، ويستدل على هذا القسم

(1) ابن حزم، التقريب لحد المنطق، تح/إحسان عباس، ط1، المؤسسة العربية، بيروت لبنان، سنة1983م. ص325 .

(2) ابن حزم، الأحكام في أصول الأحكام، مصدر سابق، الجزء الثاني، ص36.

(3) سورة النحل، الآية 125 .

(4) سنن ابو داود، تح/عزت عبيد وعادل السيد، ط1، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، سنة1997م. في كتاب الجهاد، باب كراهية ترك الغزو، رقم 12504 ، الجزء الثالث، 10.

(5) ابن حزم، الأحكام في أصول الأحكام، مصدر سبق ذكره، الجزء الأول، ص 40، 41.

(6)ابن حزم، الأحكام في أصول الأحكام، مصدر سبق ذكره، الجزء الأول، ص42.

من الجدل بقول الله ﷻ :{ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ }[1]، كما يقسم ابن حزم الجدل المذموم إلى قسمين بقوله: «ذم الله ﷻ الجدل بغير حجة، والجدال في الباطل، وأبطل ﷻ بذلك قول المجانين كل مفتون ملقن حجة وبين الله ﷻ أن المفتون هو الذي لا يلقن حجه، وأن المحق هو الملقن حجة على الحقيقة، وهم أهل الحق وقال ﷻ:{ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ }[2]، ولقد جمعت هذه الآيات الجدال المذموم»[3]، **أحدهما**: جدل بغير علم: قال ﷻ :{ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ}[4]، **ثانيهما**: من جادل لنصرة الباطل بشغب، بعد ظهور الحق، قال ﷻ :{ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ}[5]، كما حرم الله ﷻ الجدل المذموم بنوعيه:« لأن الجدال المحرم هو الجدال الذي يجادل به لنصرة الباطل، ويبطل الحق بغير علم»[6]، والجدال المذموم هو ما حرمه الله بنوعيه لأن صاحبه: «سخيف، جاهل مذموم الطبع مفسد على الناس، قد جعل هذا النفار ستاره، دون جهله فلم يقنع بأن حرم نفسه الخير حتى سعى في أن يحرمه سواه، وأما إذا كان المتناظرين معاً مغالطين، أو كان أحدهما جاهلاً والثاني غالطاً أو مغالطاً فتلك مناظرة يكثر فيها الشغب، ويعظم النصب، ويكثر فيها الصخب ويشتد الغضب، ويوشك أن تشتد مضرتهما، وأما المنفعة فلا منفعة»[7]، تكون مضرة هذا الجدل إذا كان الجاهل فيها مسارعاً إلى قبول ما ضرب سمعه، دون برهان صحيح، فيهلك باعتقاده الباطل، قبوله[8]، لقد كان ابن حزم رجلاً جدلياً، وله منهاج خاص في جدله، ولكن ما هي غاية الجدل عند ابن حزم؟ وما هو قدر الأمانة في الجدل عنده؟

إن غاية الجدل عند ابن حزم هي الوصول إلى الحقيقة، مخلصاً في طلب الحق ومبتعداً عن الاستطالة، وعن الغلبة، وإنما يقصد بجدله نصرة الحق المجرد، وإن طلب الحق لا يصح أن يعميه التعصب، ولذلك يقول: «وقد علمنا وجوه الإنصاف الذي هو غاية العدل في المناظرة وهو أنه من أتى ببرهان ظاهر، وجب الانصراف إلى قوله، وهكذا نقول نحن اتباعاً لربنا ﷻ بعد صحة مذاهبنا، لا شكاً فيها، ولا خوفاً منا أن يأتينا أحد بما يفسدها، ولكن ثقة منا بأنه لا يأتي أحد بما يعارضها

(1) سورة الكهف، الآية 56 .

(2) سورة غافر، الآية 35 .

(3) ابن حزم، الأحكام في أصول الأحكام، مصدر سابق، الجزء الأول، ص38.

(4) سورة الحج، الآية 3 .

(5) ابن حزم، الأحكام في أصول الأحكام، مصدر سابق، الجزء الأول، ص38.

(6) المصدر سابق الجزء الأول، ص38 .

(7) ابن حزم، التقريب لحد المنطق، مصدر سابق، ص 326 .

(8) المصدر سابق، ص 326 .

به أبداً، لأننا أهل التخليص، والبحث، وقطع العمر في طلب تصحيح الحجة، واعتقاد الأدلة، قبل اعتقاد مدلولاتها حتى وقفنا على ما ثلج اليقين، وتركنا أهل الجهل والتقليد في ريبهم يترددون»[1]، وعلى الرغم من تصريح ابن حزم بضرورة الانصراف إلى البرهان الصحيح فإنه يضع النتائج التي سوف ينتهي إليها في جدله مقدماً، وهي صحة مذهبه الذي لا يمكن أن يعارضه أحد أبداً مما يفسد استعداده لقبول قول الخصم، ويفسد الأساس الذي تقوم عليه العملية الجدلية بيد أننا قد نقبل ذلك على صعيد الجدل العقائدي بين المسلمين، وأهل الكتاب والعقائد الضالة لظهور فسادها، ونستبعده على صعيد الجدل مع الفرق الإسلامية لاعتقاد ابن حزم في قوله: «لأننا أهل التخليص، والبحث، وقطع العمر في طلب تصحيح الحجة، واعتقاد الأدلة قبل اعتقاد مدلولاتها»[2]، ولذلك فإن ابن حزم: «لم يُدخل احتمال الخطأ في قوله ولاحتمال الصواب في قول مخالفيه»[3].

أما فيما يخص الأمانة في الجدل عند ابن حزم ومقدار التزامه بآداب الجدل، والمناظرة فتوضحها تلك الواقعة الجدلية التي يعترف فيها بأن الصواب كان لخصمه فهو يقول: « وأخبرك بحكاية لولا رجاؤها في أن يسهل بها الإنصاف على من لعله يناظر، ما ذكرناها وهي: أني ناظرت رجلاً من أصحابنا في مسألة فعلوته فيها لبكؤ كان في لسانه، وانفصل المجلس على أني ظاهر فلما أتيت منزلي وحاك في نفسي منها شيء فتطلبتها في بعض الكتب، فوجدت برهاناً صحيحاً يبين بطلان قولي، وصحة قول خصمي، وكان معي أحد أصحابنا ممن شهد ذلك المجلس، فعرفته بذلك ثم رآني قد علّمت على المكان من الكتاب فقال لي: ما تريد؟ فقلت: أريد حمل هذا الكتاب، وعرضه على فلان، وإعلامه بأنه الحق وأني كنت المبطل، وأني راجع إلى قوله، فهجم عليه، من ذلك أمر مبهت، وقال لي: وتسمح نفسك بهذا؟ فقلت له: نعم ولو أمكنني ذلك في وقتي هذا لما أخرته إلى غد»[4].

إن هذه النزاهة الموضوعية في مواقف ابن حزم في الجدل ومقدار التزامه بآداب الجدل تخالف ما ذهب إليه بعض الباحثين[5]، من أن «نظر ابن حزم للأمور لم يكن نظر الباحث الفاحص الموضوعي»، والواضح أن مواقف ابن حزم في الجدل تدل على عكس ما ذهب إليه الباحثين، وإنما تدل على طول باعه ومقدرته، وسعة ثقافته الجدلية، وبالتالي فإن منهج ابن حزم الجدلي يتلخص في

(1) ابن حزم، الأحكام في أصول الأحكام، مصدر سابق، الجزء الأول، ص38 .

(2) المصدر السابق، 1 / 38 .

(3) محمد أبو زهرة، ابن حزم، مرجع سابق، ص164.

(4) المرجع سابق، ص 336 - 337 .

(5) المهدي عياد الصابري، قواعد المنهج الجدلي عند ابن حزم، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة ، كلية دار العلوم ، قسم الفلسفة الإسلامية، سنة 1995م، ص411.

سرد أدلة الخصم واحد بعد الآخر، ثم يتولى مناقشتها، مظهراً ما تنطوي عليه من بطلان، وبُعد عن الدقة، وبعد ذلك ينتقل ابن حزم إلى مرتبة ثانية من مراتب الجدل وهي إبطال أقوال الخصوم، ويسلك مسلكاً آخر، وهو الإلزام والإقحام، بعد أن سلك مسلك الحجة، والبرهان وفي كل هذا كان حريصاً على أن تكون دعائم الجدل عنده هي البرهان المعتمد على الحواس ، والعقل[1]، وهذا هو البرهان المفرق بين الحق والباطل.

لقد استعمل ابن حزم المنهج الجدلي ضد المخالفين للإسلام من أهل الجحد القائلين بأن العالم لم يزل، ومن أهل التنويه*، ومن الملحدين**، ومن أهل التثليث*** ليرينا تناقضهم وبالتالي فإن ديدنه دائماً هو طلب الحق وإظهاره ، اتباعاً لقوله ﷻ:{ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلادِ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ }[2]، ومن هنا تُعد مناقشة ابن حزم مع المخالفين من غير المسلمين وجدله معهم «من كمال جدله لا من نقصه ومن أسباب سلامته، لا من عيوبه، لأنه في هذه الحال يدافع عن الإسلام ضد المهاجمين له من أهل الديانات الأخرى، أو المنحرفين من الزنادقة أن نفرض أن عند هؤلاء حقاً يطلبونه، لأن هؤلاء يريدون تشويه الإسلام وحقائقه، أو فساد عقيدة المسلمين أو بث أفكار فاسدة بينهم، إذ هم لا يرجون للإسلام، وقاراً، ولا يألونه إلا خبالاً، فهدم أقوالهم أمر محمود، والتحيز لأقواله التي هي حقيقة الإسلام أمر يوجبه الدين، ويلزم به الإيمان الصادق»[3].

---

(1) محمد أبو زهرة، ابن حزم، مرجع سابق، ص 159 – 160 ، والأخلاق والسياسة عند ابن حزم، صلاح رسلان مرجع سابق، ص 121 .

* أهل التنوية: هم القائلين الجوهر مختلفان: أحدهما نور والآخر ظلمة وأنهما متضان، وأن النور كله جنس واحد، والظلام كله جنس واحد، وأن كل واحد من الجنسين، خمسة أجناس، ومنهم: الديضانية، والمنانية، والمجوس، والصائبة والمزدكية، الفصل، لابن حزم، تح/أحمد السيد، ط2، المكتبة التوفيقية، القاهرة مصر، سنة2003م.1/ 54، وراجع/ الأشعري، مقالات الإسلاميين، تحقيق: نواف الجراح، ط1، منشورات دار صادر، بيروت، لبنان، سنة 2006 ف، ص179 – 189.

** الملحدين: جمع ملحد: وهو الطاعن في الدين المائل عنه، وهو الذي لا يؤمن بالآخرة القائل ببقاء الدهر راجع/ ابن حزم، الفصل1/ 20 .

*** الملحدين: جمع ملحد: وهو الطاعن في الدين المائل عنه، وهو الذي لا يؤمن بالآخرة القائل ببقاء الدهر راجع/ ابن حزم، الفصل1، مصدر سبق ذكره، 1/ 20 .

(2) سورة غافر، الآية 4 - 5 .

(3) محمد أبو زهرة، ابن حزم، مرجع سابق، ص 165 .

* السفسطائيون: هم طائفة من الفلاسفة، تحولوا من الفلسفات الطبيعية إلى دراسة الإنسان لعلهم يجدون فيه غنىً وكفاية، ويذهب السفسطائيون إلى أن الحقيقة أمر نسبي تختلف باختلاف الحواس والعقل، ومن أشهرهم: « بروناجوراس »، الذي

الجدل والسفسطة عند ابن حزم :

لقد عرفنا فيما سبق أن ابن حزم يعد من كبار رجال الجدل المسلمين وإن غايته من الجدل هي إظهار الحق، والوصول إلى الحقيقة، وطلب الحق لذاته، وليس لغاية من ورائه، ومن هنا علينا أن نعرف السفسطة، إن أهل السفسطة: يبطلون الحقائق، وينصرون الأباطيل ويتلاعبون بالألفاظ بهدف حجب معانيها عن الحقيقة، والسفسطائية* ، هم: «الذين ينفون العلم وينفون حقائق الأشياء كلها، وعدوهم معاندين لما قد علموه بالضرورة، وكذلك السفسطائيين الذين شكوا في وجود الحقائق، وكذلك الذين قالوا منهم بأن حقائق الأشياء تابعة للاعتقاد وصححوا الاعتقادات مع تضادها، وتنافيها وهذه الفرق الثلاثة** كلها معاندة لموجبات العقول الضرورية»(1)، فالمقصود من السفسطة إذاً: الأدلة التي تبنى على مقدمات فاسدة وهي سلاح يستخدم لتلبيس الحقائق وتمحيق الحق، ونصرة الباطل يقول ابن حزم: «وأعلم أن المشاغب الناصر للباطل، أعظم سلاحه التلبيس»(2)، وهذا التلبيس قد يقع بعدة وجوه منها:

1- بإيجاب ما لا يجب: مثال ذلك: لو كان البارئ ﷻ غير جسم لكان عرضاً، فلما ثبت أن الباري ليس عرضاً صح أنه جسم فهذا علَّقَ كونه أنه ﷻ غير جسم بكونه عرضاً، وهذا لا يجب، ويعلّق ابن حزم على ذلك بقوله: «هذا تقديم غير صحيح والصحيح أن يقال: لو كان الباري ﷻ محدثاً، أو كان غير جسم لكان عرضاً»(3).

2- بإسقاط قسم من الأقسام: كقول القائل: لا يخلو هذا اللون من أن يكون أحمر، أو أخضر أو أصفر، أو أسود فقد أسقط الأبيض، وغير ذلك وبزيادة قسم فاسد إلى الأقسام التي ينقسم إليها الشيء: كقول القائل لا يخلو هذا الشيء من أن يكون هو هذا الشيء أو هو غيره، أو لا هو، ولا غيره، فهذا قسم فاسدة لا حاجة به.

3- أن يكون بذكر أقسام فاسدة كلها: كقول القائل: «لا يخلو البارئ ﷻ من أن يكون فعل الأشياء كلها لدفع مضرة، أو اجتلاب منفعة أو لطبيعة أو لأفة، أو لجودة وكرمه فهذه كلها أقسام فاسدة والصحيح أنه فعل لا لعلة، ولا لسبب أصلاً»(4).

يقول: « الإنسان مقياس الأشياء جميعاً ». راجع / محمد عبد الرحمن مرحبا، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، ط1، بحر المتوسط، بيروت لبنان، سنة 1983 م. ص90 ، 89.

❖- والمقصود هنا: أن السفسطائية ثلاث فرق: عنادية، ولا أدرية، وعنديه، راجع/ ابن حزم، الفصل 1/ 19.

(1) البغدادي، الفرق بين الفرق، تح/محمد محي، ط1، دار الطلائع، القاهرة، مصر، 2005م. ص 242.

(2) ابن حزم، التقريب لحد المنطق، مصدر سابق، ص 310 .

(3) ابن حزم، التقريب لحد المنطق، مصدر سابق ، ص 309 - 310 .

(4) المصدر سابق، ص310، وراجع/ الفصل، مصدر سابق، الجزء الأول، ص22، وراجع إفساد هذا القول في صفحة 25 – 26 ، من نفس المصدر.

4- الغلط الواقع في اشتباه الأسماء: ويكون من جاهل، ومن عامد، فأما الجاهل فمعذور وأما العامد، فمذموم، فالجاهل غلطه في ذلك نحو غلط عُدى بن حاتم إذ سمع قوله ﷻ:{وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ}[1]، فظنها من الخيوط المعهودة وأما العامد فنحو الذين قيل لهم« راعنا» من المراعاة فقالوا راعنا من الرعونة[2].

5- الغلط الواقع من اشتباه الخط ولاسيما في الخط العربي: فإن ذلك فيه فاشٍ لأن أكثر حروفه لا يفرق بينها في الصور إلا بالنقط كزبد، وزند، وما إلى ذلك، وقد كتب أحد الخلفاء إلى عامله: اخصِ المحنتين قبلك، يريد إحصاء العدد، فقرأها الكاتب «اخصِ» فخصي كل من قبله منهم، ولهذا صار طالب الحقائق مضطراً إلى قراءة النحو، ألا ترى أن قارئاً لو قرأ :{ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ }[3] فرفع الهاء من اللّه، ونصب الهمزة من العلماء قاصداً إلى ذلك، وهو عالم لكان ذلك خروجاً عن الملة فتحفظ من مثل هذا جيداً، ومنه أيضاً أن تقع العطوف محيرة، أي في معرفة العطف والمعطوف عليه[4].

6- ومن السفسطة تصحيح شيء بتصحيح آخر، وبطلانه ببطلان شيء آخر بلا برهان يوجب إضافتها فذلك فاسد جداً، كقول من قال: لو جاز أن يكون البارئ ﷻ مرئياً رؤية غير المعهودة، لجاز أن يشم شماً غير المعهود، وكقول القائل: لما صح لتحريم في البرُ بالبرُ متفاضلاً، صحَّ التحريم في الأرز بالأرز متفاضلاً، وهذا كله بدعوى بلا برهان[5]، ولهذا ينقسم الناس حسب كلامهم إلى ثلاثة أصناف[6]: **الصنف الأول:** «لا يبالي فيما صرف كلامه مبادراً إلى الإنكار أو التصديق أو المكابرة دون تحقيق فإن سألته إثر انقضاء كلامه عن القول الذي نصر دون تحقيق لم يدر، ولا عرف من نصر، وهذا هو الأغلب في الناس، **الصنف الثاني:** «ينصر ما عقد نيته واعتقد بغير برهان، فلا يبالي بما نصره من حق أو باطل، وهذا الصنف يختلف عن الصنف الأول في أنه يعتقد بصدق آرائه معتمداً على التقليد أو الشهوة، ولكن دون تحري حق، ولا مجانبة باطل»[7]، **والصنف الثالث:** «لا يقصدون إلا إلى نصر الحق وقمع الباطل، وهذا الصنف واضع للكلام في موضعه، وهم العقلاء الذين يبذلون

(1) سورة يونس ، الآية 68 - 69 .

(2) ابن حزم، التقريب لحد المنطق، مصدر سابق، ص 310 .

(3) سورة فاطر، الآية 27 .

(4) المصدر سابق، ص 311 .

(5) ابن حزم، التقريب لحد المنطق، ص 311 – 312 ، وراجع/ الأحكام في أصول الأحكام، لأبن حزم، مصدر سابق، الجزء السابع، ص1084 .

(6) ابن حزم، التقريب لحد المنطق، مصدر سابق، ص 343 ، وقارن ما يقوله في رسالته مداواة النفوس، مصدر سابق، ص 381 .

(7) المصدر السابق، ص 343 .

جهدهم فيما ينتفعون به في أخرتهم»[1]، وهنا يرد ابن حزم على مبطلي الجدال والذين يهاجمونه، مبيناً لهم أن الله ﷻ ورسوله ﷺ قد أثنى على الجدال بالحق وأمر به لما فيه من إحقاق للحق وتمحيق للباطل، وقد رأينا ابن حزم فيما سبق يحذرنا من الجدال المذموم ونتائجه فهو مبطل للحق، ناصر للباطل وانه يحثنا على الجدال المحمود، يقول ابن حزم: «واحتجوا في إبطال الجدال والمناظرة بآيات ذكروها»[2]، وهي قوله ﷻ: { حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ }[3]، يرى ابن حزم أن هذه الآيات توضح الجدال المذموم، ويرد على مبطلي الجدال بقوله: «وبالجملة فلا أضعف ممن يروم إبطال الجدال الذي أمر به الله ويريد هدم جميع الاحتجاج بالاحتجاج، ويتكلف فساد المناظرة لأنه مقر على نفسه أنه يأتي بالباطل لأن حجته هي بعض الحجج التي يريد إبطال جملتها، وهذه طريق لا يركبها إلا جاهل ضعيف، أو معاند سخيف»[4]، ويقول: «فمن ذم الحق الذي ندعو إليه فقد ألحد، وهو من أهل الباطل حقاً والخصام بالباطل هو اللذد»[5]، وبالتالي تُعد المناظرة عبارة عن مباراة في النظر، والغرض منها هو الوصول إلى الصواب في الموضوع الذي اختلف بأنظار المتناقشين فيه والحق في المناظرة هو ظهور البرهان الحقيقي فقط فالعاقل لا يرى لنفسه ثمناً إلا الجنة ولكن قد تنقطع المناظرة بالسكوت عن المعارضة وهذا السكوت له وجهين: أما لصدق الجواب، وإما لعجز عن المناظرة، يقول ابن حزم: «ومن سأل فأجابه خصمه، فسكت عن المعارضة، فإما أن يكون لصدق الجواب ، وإما أن يكون لعجز عن المعارضة، وهذا مكان انقطعت فيه المناظرة التي ابتدأها إلا أن يستأنف أخرى»[6]، كما إن صفة المنقطع في المناظرة، والذي لا ينصف مناظره لها عدة وجوه منها:

1- أن يقصد إبطال الحق أو التشكيك فيه، ومن هذا النوع يحيل في جواب ما يسأل عنه على أنه ممتنع غير ممكن، وأن يستعمل البُهت، والرفاعة والمجاهرة بالباطل، ولا يبالي بتناقض قوله ، ولا بفساد ما ذهب إليه، ومن ذلك أن يحكم بحكم ثم ينقضه.

(1) مصدر سبق ذكره، ص 343 .

(2) ابن حزم، الأحكام في أصول الأحكام، مصدر سابق، الجزء الأول، 33.

(3) سورة الشورى ، الآية 15 - 16 .

(4) ابن حزم، الأحكام في أصول الأحكام، مصدر سابق، الجزء الأول، ص42.

(5) المصدر السابق، الجزء الأول، ص42.

(6) ابن حزم، التقريب لحد المنطق، مصدر سابق، ص 328 .

2- الانتقال من قول، وسؤال إلى سؤال على سبيل التخليط لا على سبيل الترك والإنابة، وأن يستعمل كلاماً مستغلقاً يظن الجاهل أنه مملوء هذراً، وأن يخرج خصمه، ويلجئه إلى تكرار الكلام، بلا زيادة فائدة، لأنه يرجع إلى الموضوع الذي طرد عنه، ويلوذ حواليه بلا حياء ولا تقوى، ولا مزيد من وصف قوله «بلا حجة» والإيهام بالتضاحك، والصياح، وربما السب والتكفير والقذف للأمهات والآباء، وبالحري إن لم يكن لطام[1]، لقد وقف ابن حزم موقف إيجابياً اتجاه الجدل في طلب الحق ونصرة دين الإسلام، بيد أن الجدل عند الإمام ابن حزم يسير وفق آداب وشروط، فما هي آداب الجدل عند ابن حزم ؟

لقد وضع الإمام ابن حزم عدة آداب للجدل والمناظرة فمن هذه الآداب ما يلي:

1- أن يكون هدف المناظرة والجدل الوصول إلى الحق، وتمحيق الباطل، وأن يبدئ كل منهما استعداده للبحث، والمناظرة، والاقتناع بالحقيقة عند ظهورها لذلك يقول ابن حزم: «ولا تقنع بغفلة خصمك بل انظر في كل ما يمكن أن يصح به قوله، فإن وجدت حقاً ببرهان فارجع إليه، ولا تتردد ولا ترضي لنفسك ببقاء ساعة آبياً من قبول الحق، وإن وجدت تمويهاً فبينه ولا تستوحش مع الحق إلى أحد، فمن كان معه الحق، فالخالق ﷻ معه، ولا تبالي بكثرة خصومك، ولا بقدم أزمانهم، ولا بعزهم فالحق أكثر منهم، وأقدم، وأعز وأعظم عند كل أحد، وأولى بالتعظيم»[2].

2- اتخاذ صفة «التي هي أحسن» والالتزام بالحق، والرفق في الحديث، والابتعاد عن الشغب والسفسطة، والتعليل، اتباعاً لقوله ﷻ :{ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ}[3]، يعلق ابن حزم على هذه الآية الكريمة بقوله: «إن الله ﷻ قد أوجب الجدال في هذه الآية، وعلم فيها جميع آداب الجدال من الرفق والبيان للحق، والرجوع إلى ما أوجبته الحجة القاطعة»[4].

3- ألا تكون الدعوى التي يجادل عنها إلا بحجة وبرهان يؤيدها لأنه «لو أعطى كل امرئ بدعواه الباطلة لما ثبت حق، ولا بطل باطل، ولا صحت ديانة أحد أبداً لأنه لا يعجز أحد عن أن يقول أُلهمت أن دم فلان حلال وأن ماله مباح لي أخذه، وهذا لا ينفعك منه، قد تقع في النفس وساوس كثيرة لا يجوز أن تكون حقاً وأشياء متضادة يكذب بعضها بعضاً»[5]، فلابد من

(1) المصدر سابق، ص 342 .

(2) ابن حزم، التقريب لحد المنطق، مصدر سابق، ص 336 .

(3) سورة النحل، الآية 125 .

(4) ابن حزم، الأحكام في أصول الأحكام، مصدر سابق، الجزء الأول، ص34.

(5) المصدر السابق، 1 / 32 .

حاكم يميز الحق منها من الباطل، وليس ذلك إلا العقل الذي لا تتعارض دلائله، كما يؤكد ابن حزم ضرورة أن تكون الدعوى مقرونة بالحجة أو بالبرهان بلا اختلاف بين العلماء، وأهل العلم واللغة هو الحجة، وأن من لم يأت على قوله بحجة فهو مبطل، وللحجة عند ابن حزم أهمية بالغة لأن «الحجة الصحيحة لا تغلب فهي ادعى إلى الحق، وانصر للدين من السلاح الشاكي والأعداد الجمة، وأفاضل الصحابة الذين لا نظير لهم، إنما أسلموا بقيام البراهين على صحة نبوة محمد ﷺ »[1].

4- أن يكون لدى المتناظرين الاستعداد التام للإجابة في المسألة التي اتفقا على التناظر، كما يغلب على أسلوبه الإطناب، والإيضاح والابتعاد عن التعقيد، والألفاظ المتأخية، ولكن ما هي السمة البارزة على أسلوب ابن حزم الجدلي؟ إن السمة البارزة على أسلوب ابن حزم الجدلي والتي نضيفها إلى أسلوبه بشكل عام هي السخرية، التي تظهر جلية واضحة في ردود ابن حزم على أهل الكتاب، فقد أضاف ابن حزم لنقده اللاذع لليهود السخرية العميقة، التي تصل إلى درجة الاستهزاء، والسب، ومن ثم يُعد ذلك مخالفاً لما ذهب إليه أحد الباحثين[2]، من أن شكل المناقشة من حيث التعبير كان واحداً عند ابن حزم أثناء جدله مع علماء المسلمين وغير المسلمين، كما أن الذي نراه أن ابن حزم كان يستعمل الحدة والسخرية بشكل واضح وأعمق أثناء جدله مع علماء الملل الغير إسلامية، ولن نستطيع أن نختم حديثنا عن المنهج الجدلي إلا بعد أن نشير إلى نموذجين من المناظرات التي جرت بينه وبين اليهود في هذا الكتاب:

أولاً: مناظرته لابن النغريلة في زعم التوراة أن سارة هي أخت إبراهيم: يقول ابن حزم: «وقد جاوزت تسعين عاماً، ومن المحال أن تكون في هذا السن تفتن ملكاً، وإن إبراهيم قال في كلتا المرتين هي أختي، وذكر عن إبراهيم أنه قال للملك هي أختي بنت أبي ليست من أمي، فصارت لي زوجة؛ في نص توراتهم إن إبراهيم ﷺ تزوج أخته»[3]، ويقول ابن حزم: «وقد وقفت على هذا الكلام بعض من شاهدناه منهم وهو بابن النغريلة فقال لي: «إن نص اللفظة في التوراة أخت، وهي لفظة تقع في الحرانية على الأخت وعلى القريبة، فقلت: «يمنع من صرف هذه اللفظة إلى القرينة هاهنا قوله: لكن ليست من أمي وإنما بنت أبي، فوجب أنه أراد الأخت، بنت الأب وأقل ما في هذا إثبات النسخ الذي تفرون منه، فخلط، ولم يأتي بشيء»[4]، لقد أقام ابن حزم دعوى على اليهود تؤكد، وقوع الكذب في نص التوراة فاعترض عما ورد فيها من أن سارة أخت إبراهيم، ولما فسر اليهود ذلك

(1) ابن حزم، الأحكام في أصول الأحكام، مصدر سابق، الجزء الأول، ص39.

(2) محمد أبو زهرة ، ابن حزم، مصدر سابق، ص 165.

(3) ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، مصدر سابق، الجزء الأول، ص162.

(4) ابن حزم، المصدر السابق، الجزء الأول، ص162، ورسالة الرد على ابن النغريلة اليهودي، مصدر سابق، ص 58.

بقولهم: «إن الأخت هي القريبة، وأن ذلك هو المراد من النص» منعه ابن حزم قائلاً: «يمنع من صرف هذه اللفظة إلى القرينة هاهنا قوله : لكن ليست من أمي إنما هي بنت أبي» يتضح من هذه المناظرة أن ابن حزم كان كلما قرأ في التوراة ووجد نصاً يتعارض مع العقل أو الواقع يوجهه لليهود؛ ويصفع بهذه النصوص التي لاح فيها الكذب وجوه أصحابها ويعترض عليها بالاستنكار، والمنع فكانت النتيجة كما يقول: «فخلط ولم يأتي بشيء» وهذا هو دليل الإفحام، والإلزام، على ما يعتقد، وإن كان مخالفاً للحق.

ثانياً: مناظرته لليهود عما نسبته التوراة إلى يهوذا من الزنا: قال ابن حزم :« العار الذي ذكر عن يهوذا من طلبه الزنا بامرأة لقيها في الطريق على أن يعطيها جدياً ثم جورهُ في الحكم عليها بالحرق، فلما علم أنه صاحب الخصلة أسقط عن نفسه، وعنها ثم أقبح ما يكون من الزنا رجل مع امرأة ولده، حاش لله من هذا الإفك المفتري»، قال ابن حزم: «ولقد قال لي بعضهم إذ قررته على هذا الفصل، إن هذا كان مباحاً حينئذ، فقلت له: فلم امتنع من مضاجعتها بعد ذلك؟ وكيف يكون مباحاً؟ وهي لم تعرّفه بنفسها ولا عرضها عند تلك المعاملة الخبيثة بالجدي المسخوط، والرهن الملعون وإنما وطئها على أنها زانية»، إذا اغتلم إليها، لا على أنها امرأة ولده الميت، إلاّ أن قلتم إن الزنا جملة كان مباحاً، حينئذ فقد قرت عيونكم، فسكت خزياناً كالحاً[1]. ومن خلال هذه المناظرات يتضح لنا أن اليهود يغالطون، ويهربون في الجدال إلى الخداع ويلجئون إلى النسخ عند الهزيمة، فيتخذ ابن حزم أسلوب المنع المقترن بالسند القطعي الذي يجزم فيه ابن حزم بما ينافى دعوى اليهود وبهذه الدعوى يثبت الإمام ابن حزم اشتمال التوراة على ما لا يليق بصدوره عن الله ورسله، وما فيها من إفك، ونشر الفواحش.

الخاتمة: لقد حاولت من خلال هذا البحث الذي يقوم على دراسة وتحليل الموضوع الذي نحن بصدده وفي هذه الخاتمة أود أن التأكيد على جملة من النتائج وهي:

1- كشفت الدراسة على أن المنهج الجدلي من أهم الوسائل التي يتم بها إحقاق الحق وإزهاق الباطل حيث يسير المنهج الجدلي وفق قواعد واسس وضوابط معرفية تؤكد جدية الحوار بين الطرفين، وقد شرحها ابن حزم باعتباره من أبرز علماء الجدل والمناظرة.

2- كما أتبث البحث أن أهم كتب ابن حزم في الجدل هو كتاب الفصْل وأن أهم القضايا التي عالجها المنهج الجدلي هي تبديل اليهود والنصارى لكتبهم.

(1) ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، مصدر سابق، الجزء الأول، ص173، وراجع/ابن حزم، رسالة الرد على ابن النغريلة اليهودي، مصدر سابق، ص57– 58.

3- بروز الإمام ابن حزم ودوره الكبير في الدفاع الدين والعقيدة الإسلامية وفي الدعوة إليها كما ساهمت موسوعية ابن حزم وثقافته في إثراء المكتبة العربية الإسلامية .

4- اعتمد ابن حزم في تأسيس منهجه الفكري على السمات العقلية والظاهرية، والأصول الكلامية والمعرفية التي بنى على ضوئها منهجه الجدلي.

التوصيات:

أنه لا يمكننا إغفال دور ابن حزم في تراثنا الإسلامي المعاصر من خلال جهوده في بناء وتأسيس منهج الجل والحوار الهادف لمخاطبة أصحاب الديانات المختلفة وما يتعرض له الإسلام اليوم من تحديات تدعو إلى التأكيد على أهمية منهج ابن حزم في الدعوة والدفاع عن الدين ونصرة العقيدة.

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن وكتب السنة:
- سنن ابو داود، تحقيق/عزت عبيد وعادل السيد، ط1، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، سنة1997م.
- **ابن حزم:**

1- الأحكام في أصول الأحكام، تحقيق الدكتور محمد حامد عثمان، ط1، دار الحديث، القاهرة، مصر، سنة2005 ف.

2- الفَصْل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق الدكتور أحمد السيد أحمد العلي، ط2، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر، سنة 2003 ف.

3- رسالة التقريب لحد المنطق، ضمن رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق الدكتور إحسان عباس، ط1، ج1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، لبنان، سنة 1983م.

4- رسالة التوقف عن شارع النجاة، ضمن رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق الدكتور إحسان عباس، ط2، ج3، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، سنة 1987م.

5- رسالة الرد على ابن النغريلة اليهودي، ضمن رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق الدكتور إحسان عباس، ط2، ج3، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، سنة 1987 م.

6- رسالة طوق الحمامة، ضمن رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق الدكتور إحسان عباس ط2، ج1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، سنة 1987م.

7- ابراهيم مذكور، في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيق، ط1، مكتبة الدراسات الفلسفية القاهرة مصر، بدون تاريخ.

8- ابن منظور، لسان العرب، ط2، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان، سنة 1992ف.

9- ابن خلدون، المقدمة، تحقيق/حامد طاهر، دار الفجر للتراث، القاهرة، مصر، سنة2004م.

10- أبـو البقـاء الحسـيني، الكليـات، وزارة الثقافـة والإرشـاد، دمشـق، سـوريا، ط1، سـنة 1974م.

11- أحمد المقري، المصباح المنير، ط1، دار الحديث، القاهرة، مصر، سنة2000م.

12- الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق نواف الجراح، ط1، دار صادر بيروت لبنان، سنة2006ف.

13- البغدادي، الفرق بين الفرق، تحقيق/ محمد محيي الدين عبد الحميد، ط1، دار الطلائع القاهرة، مصر، سنة 2005 ف.

14- التهانوني، كشاف اصطلاحات الفنون، لمحمد علي الفاروقي، دار لبنان، بيـروت، لبنـان، ط1، سنة 1972 م.

15- الجرجاني، التعريفات، تحقيق إبراهيم الأبياري، مكتبة لبنات، ط1، سنة 1969م.

16- جميل صليبا، المعجم الفلسفي ، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، لبنان، ط1، سنة 1994م.

17- الجويني، الكافية في الجدل، تحقيق خليل منصور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان سنة 1999م.

18- خالد السيوطي، الجدل الديني بين المسلمين وأهل الكتاب، ط1، دار قباء للطباعة والنشر القاهرة، مصر، سنة 2001ف.

19- الشوكاني، تفسير فتح القدير، تحقيق/سعيد محمد اللحام، ط 1، دار الفكر، بيروت، لبنان سنة 1999م.

20- صلاح رسلان، الأخلاق والسياسة عند ابن حزم– ط1 – الناشر مكتبة نهضة الشرق – القاهرة – مصر – سنة 1978 م.

21- عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث، ط1، دار النهضة، القاهرة، مصر، سنة 1963م.

22- عبد الرحمن حسن حنبكة، ضوابط المعرفة، ط2، دار القلم، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.

23- الغزالي، إحياء علوم الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، سنة2001ف.

24- مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، تصدير إبراهيم مذكور، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ط1، سنة 1979م.

25- مجيد خلف منشد، ابن حزم الأندلسي ومنهجه في دراسة العقائد والفرق الإسلامية، ط1، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، سنة 2002ف.

26- محمد أبو زهرة، ابن حزم، ط2، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، سنة2004م.

27- محمد سيد طنطاوي، آداب الحوار في الإسلام، ط1، دار نهضة مصر، القاهرة، مصر، سنة1999م.

28- محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ط1، دار الحديث، القاهرة، مصر، سنة1996م.

29- محمد مرحبا، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، ط1، دار البحر المتوسط بيروت، لبنان، سنة 1983 م.

30- المهدي الصابري، قواعد المنهج الجدلي عند ابن حزم، رسالة دكتوراه، كلية دار العلوم، قسم الفلسفة الإسلامية، سنة1995م.